

العمال في السعودية يعانون من مأساة وانتهاكات

يواجه العمال المهاجرون مأساة في السعودية التي يكتسب ملفها لاستضافة مونديال كأس العالم لعام 2034 زخما متزايدا لكن على حساب الأرواح البشرية، بحسب ما أبرزت صحيفة الغارديان البريطانية.

وذكرت الصحيفة أنه في الثالث عشر من ديسمبر/كانون الأول، مرت سنتان منذ وفاة جون نجاو كيبوي . ولم يتم الكشف عن ملابسات الوفاة، ولكن ما نعرفه بلا أدنى شك هو أن حارس الأمن البالغ من العمر 24 عاماً سقط من أعلى ردهة في استاد لوسيل قبل ثلاثة أيام، بعد ساعتين تقريبا من انتهاء مباراة ربع نهائي كأس العالم بين الأرجنتين وهولندا .

واستمر العرض. فبعد ساعات من وفاة كيبوي، عادت الأرجنتين إلى لوسيل لمواجهة كرواتيا، وسار آلاف المشجعين دون قصد بالقرب من المكان الذي سقط فيه كيبوي.

وبعد خمسة أيام من ذلك، عالج ليونيل ميسي وكيليان مبابي نفس المكان بأعظم نهائي . وقليل من أولئك الذين استمتعوا بالألعاب النارية بعد المباراة أو حدقوا في وقاحة سولت باي كانوا ليذكروا كيبوي.

قالت شقيقة كيبوي إنه كان يعمل لساعات طويلة، وهي حقيقة أكدها لاحقًا زملاء لصحيفة الغارديان. أقيمت جنازته في وطنه كينيا في ليلة رأس السنة الجديدة؛ وتم بثها عبر الإنترنت وشاهدها أكثر من 3500 مرة.

تنقل وجوه الأقارب والأصدقاء الذين يؤدون واجب العزاء الأخير على جثمانه الألم الشديد لخسارتهم؛ وقد جسد تأبين قصير لاحقًا الثراء الذي نقله هذا الشاب لأحبائه والمجتمع من حوله.

وقالت الصحيفة "قد لا نعرف أبدًا على وجه التحديد عدد العمال المهاجرين الذين لقوا حتفهم في مشاريع الاستاد والبنية التحتية التي تخدم قطر 2022".

تُظهر أرقام هذه الصحيفة أن ما لا يقل عن 6751 شخصًا من حفنة من الدول الآسيوية لقوا حتفهم في البلاد بين عامي 2010 و2020. كان من الصعب الحصول على إحصاءات من السفارات الأفريقية، مثل كينيا. إنها أكثر الألعاب قتامة من حيث الأرقام التي لم يتمكن الآلاف من الناس ببساطة من الفوز بها.

وهنا رقم آخر: 21000. وهو إجمالي العمال النيباليين والبنغلاديشيين والهنود الذين قيل إنهم لقوا حتفهم في المملكة العربية السعودية منذ إطلاق خطة رؤية 2030 في أبريل/نيسان 2016.

وكان هذا مجرد كشف واحد من فيلم وثائقي بثته قناة آي تي في وسط مخاطر شديدة، وعرض مساء الأحد. وعرض فيلم "مملكة مكشوفة: داخل السعودية" لقطات من عالم يفضل أولئك الذين يتخيلون الدولة الصحراوية الشاسعة ألا يروه؛ والصور التي قد تفضل الفيفا أن تصدقها ليست سوى خدعة بصرية. وقبل ستة أسابيع ونصف من الموافقة على عرض السعودية لاستضافة كأس العالم 2034، عدنا إلى هنا حقا.

وبحسب الصحيفة فإنه من السهل الاستهزاء ببعض تصاميم الملاعب التي كشفت عنها السعودية في عرضها الرسمي قبل ثلاثة أشهر. فهل لن يبني السعوديون بجدية ملعبًا ثلاثي الجوانب على قمة جرف، ينفج ليكشف عن بانوراما مذهلة لأكثر سلسلة جبال درامية في البلاد؟ بالتأكيد لا يمكن لأحد أن يتابع بناء ملعب على ارتفاع 350 مترًا فوق سطح الأرض في مدينة تسمى نيوم، يبلغ طولها 110 أميال وعرضها 200 متر، ولم يتم بناؤها بعد؟

لقد سخرت السعودية بالفعل من أي شخص يشك في ما إذا كان سيتم تنفيذ شيء ما بأي ثمن عندما يكون هناك حاجة إلى ذلك. خذ على سبيل المثال نيوم، الذي يتناوله برنامج ITV بالتفصيل وبشكل مناسب. لقد

أوضح بالتفصيل مقدار الأرض المخصصة للمشروع والتي يسكنها قبيلة الحويطات، الذين تعرض العديد منهم للإخلاء القسري والوحشية من أجل تطهير الأرض للبناء.

لقد تم حرق الأرض التي يتم بناء المخطط الرائد للحكومة السعودية عليها دون أي تنازل. يرسم الفيلم الوثائقي صورة قاتمة بما فيه الكفاية ولكن أي شخص يرغب في اكتشاف ما حدث هنا بالضبط يُنصح بقراءة تقرير بعنوان " الجانب المظلم لنيوم" من قبل منظمة حقوق الإنسان المحلية ALQST، والذي يوضح بالتفصيل التكلفة البشرية لإقامة مباريات كأس العالم في الهواء.

ولكن هل هذا صحيح؟ ربما بعضه فقط. لأننا ننتقل إلى مدينة نيوم الحديثة، حيث يتم حفر أنفاق السكك الحديدية وشق خندق لا نهاية له. والمشروع متأخر بالفعل عن الجدول الزمني، مع تمديد الجداول الزمنية والاقتراحات بتقليل عناصر المشروع. فكيف إذن قد تكون هذه المدينة العملاقة جاهزة لاستضافة بطولة كرة قدم النخبة في الوقت المناسب؟

"نحن نعامل مثل المتسولين"، يقول أحد العمال المجهولين لمراسل ITV المتخفي، موضحًا أنه يعمل بانتظام لمدة 16 ساعة في اليوم ويمضي أسبوعين دون يوم عطلة. "هناك القليل من الوقت للراحة. نشعر بالتعب. نعاني من القلق ليلاً ونهاراً".

ويقول سائق إن العمال في مجاله يحصلون بالكاد على أربع ساعات من النوم وأن الحوادث شائعة. تقول نيوم إنها "تقيم المطالبات الواردة في هذا البرنامج، وستتخذ الإجراءات المناسبة عند الضرورة"، مضيفة: "نطلب من جميع المقاولين والمقاولين من الباطن الامتثال لقواعد السلوك الخاصة بنيوم، استنادًا إلى قوانين المملكة العربية السعودية".

ولا تقتصر الانتهاكات على نيوم. فنحن نزور عائلة راجو المفجوعة، وهو نيبالي أشعلت وفاته في معسكر للعمال في جدة شرارة احتجاجات غاضبة. وتقول عائلته وزملاؤه في الفيلم إنه كان مريضاً لمدة شهرين ورفضوا تقديم العلاج الطبي المناسب له.

وهناك مشاهد قذرة من معسكر آخر تديره شركة لديها عشرات العقود الحكومية، حيث نفذ الطعام من العمال ويصفون أنفسهم بأنهم "محاصرون مثل العبيد". كما نلتقي بشقيقة ناشطة حقوق المرأة المسجونة ونضطر إلى مواجهة أهوال لا يمكن تصورها تحدث في مراكز احتجاز المهاجرين.

إذا كان هذا يزعجك، أو إذا كنت قلقًا من أن الآلاف من القصص المؤلمة وغير المسموعة من قطر تشبه الإحماء الخفيف لحجم المأساة التي قد تتكشف في خدمة السعودية 2034 والمشاريع المجاورة لها، فقد يكون هناك القليل من الوقت لإيقاف القطار.

في 11 ديسمبر، سيتم تمرير البطولة في تصويت معبأ سيمنح نسختي 2030 و2034، وكلاهما بدون معارضة، في وقت واحد. أي اتحاد يعارض العرض السعودي سيخاطر أيضًا بعرقلة حدث الذكرى المئوية المترامي الأطراف المخطط له بعد ست سنوات.

وربما يعتقد البعض أن هذا مجرد هستيريا، وهم على ثقة من أن تقرير حقوق الإنسان الذي طلبته الفيفا من شركة المحاماة كليفورد تشانس، والذي انتقدته منظمة العفو الدولية بشدة، كافٍ لتهدئة الضمائر.

وسوف يكون هناك خبز طازج وسيرك متقن ومستقبلي للاستمتاع به مع تزايد مشروع 2034. ولكن ستكون هناك أرقام جديدة أيضًا. ومن الجدير أن نضع في الاعتبار هذا العدد الإجمالي البالغ 21 ألفًا.

كما من الجدير أن نفكر في أشخاص مثل كيبوي، وهو مهووس بكرة القدم كانت حياته أكثر من مجرد رقم، بينما نتساءل كيف يمكن للرياضة أن تجبر نفسها على الموافقة على مثل هذه المعاناة من جديد.